فن الرواية العنصرية في كتب "الأفلام"

باختصار يمكن أن نصف رواية « اريك بيس » الأخيرة بانها محاولة لتقليد رواية « ليون اوريس » الشهيرة « اكسودس » ، وبالرغم من ان هذه الاخيرة تشكل نموذجا منحطا ، من الناحية الفنية والتاريخية ، للاعمال الدعاوية التي تلبس نفسها الشكل الفني ، فان رواية « بيس » هي تقليد مشوه وفظ « لاكسودس » ، التي اضحت منذ اواخر الخمسينات دليلا رخيصا للشهرة الرخيصة في اسواق تتميز بالخضوع «للبضاعة» الادبية التي تخدم الاهداف الدعاوية للصهيونية، فتحظى ببركتها . على ان اهمية رواية «الافلاكح» هي في ان كاتبها ، اريك بيس ، هو مراسل « للتيوبورد التايمز » الامريكية في الشرق الاوسط ، ويتخذ من بيروت مقرا له ، وقد جرى تعيينه في هذا المنصب بعد ان نشر روايته التي نحن بصددها في شتاء ١٩٧٠ ، وهي من الروايات القليلة التي تلعب فيها قاهرة « المقاومة الفلسطينية » دورا رئيسيا والتي نشرت في الغرب في الفترة الاخيرة .

وفي الحقيقة ان فترة طويلة نسبيا قد مضت منذ كتابة « اكسودس » ، الذي قدم للحركة الصهيونية خدمات لا يمكن تقديرها بثمن بالرغم من ان احدى الشخصيات الاسرائيلية وصفته بانه « كتاب فظ ومبتذل ، ولكنه رائع بالنسبة لليهود الاميركيين » (راجع جون كمشه في الجويش اوبزرفر عدد ١٧ مجلد ١٠ بتاريخ ٢٧ – ٤ – ١٩٦٢) .

والواقع ان رسالة « اكسودس » كانت محددة، اذ انها كانت تهدف الى خلق شخصية «اليهودي المصموم » ، المتفوق عقليا وبدنيا ، والذي تنطبق عليه الاوصاف التي رسمها الرواد الصهاينة الاوائل الذين وعدوا الاستعمار الغربي بان تلعب اسرائيل دور الحارس الامامي لحضارة الغرب ضد بربرية وهمجية الشرق . ولكن « ليون اوريس » ، كي يستطيع ان يرسم صورة هذا « الاسرائيلي المصموم والمتفوق » ، لم يستطع الا ان يضعه مقابل « العربي المنحط والمخطيء » ، وهكذا فقد جاءت «اكسودس» نموذجا شديد الوضوح للعنصرية في احد اشكالها الاكثر صفاقة وفرقا ، ومع ذلك فقد نجحت الصهيونية في ان تجعل هذه الرواية بالذات ، طوال مايقرب من عشر سنوات ، احد المصادر الاساسية بالنسبة للعواطف الاوروبي والاميركي العادي في تعرفه على « الوضع في الشرق الاوسط » .

يجيء « اريك بيس » ، بعد خلوات الحمى الاعلامية التي روجتها رواية «اكسودس » ، في محاولة جديدة لاحيائها ، وذلك في روايته « الافلاكح » التي تقدم نموذجا للعنصرية والتراخية تفوق في الواقع المستوى الذي قدمه اوريس ، لان هذا الاخير كان يتمتع بحد ادنى من القدرة على استخدام الادوات الفنية ، جعلت فظاظة العنصرية في روايته تبدو اقل مباشرة مما هي عند « بيس » ، فقد اضاف « بيس » الى تحيزه وضيق افقه واتجاهه لطبيعة النموذج الانشائي وكاتبه كروائي ، الا انه حاول ان يغطي هذا العالم التفكك الذي يستند اليه بعطوماته التفصيلية كمراسل صحافي استخدم هذه الصفة لاحتكاك بالمقاومة الفلسطينية ، ومن ثم استعار جزئيات ، قد تكون صحيحة ، لاعطاء الصورة المصطنعة التي بناها طابع الواقعية .

ان السؤال المهم هو عما اذا كان «اريك بيس » في رواية « الافلاكح » يستطيع ان يكرر في السنوات القادمة ، الدور الذي لعبه ليون اوريس في روايته « اكسودس » ، بالرغم من انه من الناحية النظرية على الاقل ، حدث تطور في كمية ونوعية اطلاع الرأي العام العالمي بمتوسطه على مسألة الشرق الاوسط ؟

ان الجواب يحتاج الى شيء من الانتظار وشيء من الوقت ، ذلك انه اذا كان من الصحيح ان « اريك بيس » يستخدم نفس الادوات الدعاوية الصهيونية التقليدية ، بكل ما فيها من تضليل وعنصرية ، وهي الادوات نفسها التي استخدمها عشرات الروائيات الصهيونيةفي العشرين سنة الماضية واستهلكتها بتكرار لا مثيل له ، فانه من غير المعروف فيما اذا كانت هذه الادوات ما تزال قادرة على الوصول الى التاثير نفسه في اوساط الرأي العام العالمي رغم كل ما طرأ من احداث في السنوات الاخيرة .

وفي الواقع فان هذه المسألة تصبح دقيقة جدا ، لان اريك بيس اجرى تطويرا واحدا في روايته يختلف فيه عن سبقوه في هذا المضمار ، وهذا التطوير هو في انه جعل المقاومة الفلسطينية على وجه التحديد « البطل السلبي» في روايته ، اما في الروايات الصهيونية المعروفة فقد كان « البطل السلبي » غالبا هو « العرب » و « الجيوش العربية » وفي احيان قليلة (عند الضرورة) « الفلسطينيون » ، وهذا التطوير الذي اجراه بيس يخضع بالطبع لمعادلة معينة ، اذ انه لم يعد يستطيع – بعد – ان يتجاهل شعب فلسطين مثلما فعل الذين سبقوه ،ومهمة الرواية هي على وجه التحديد تهشيم هذا البطل الجديد .

هنالك قاسم مشترك واحد بين الغالبية الساحقة من الروايات الصهيونية (وهي الروايات التي كتبت بمختلف اللغات لخدمة عملية الغزو والاستيطان على صعيد العمل الفني) . ولو اخذنا عددا محددا من هذه الاعمال الروائية لاستكشاف هذا القاسم المشترك لوضعنا ايدينا على ظاهرة يكاد لا يوجد ما يماثلها في تاريخ الادب . لناخذ مثلا « اكسودس » لليون اوريس ، و « نجمة في الريح » لروبرت نالان ، و « النصر الاعظم » لليستر فورن ، و « الاغراء الاخير » لجوزف فيرتل ، و « لصوص في الليل » لارثر كوستلر و « الينبوع » لجيمس ميشنر ، و « طوسي للخالفين » و « غبار » لياتيل دايان ، فاننا سنجد ان احداث كل هذه الروايات تمشي على خطين اساسيين :

● الاول : الاعتماد بصورة او باخرى على التذكير بالجرائم النازية ضد اليهود (في احيان كثيرة الضحية نفسه نجا باعجوبة من افران الغاز ، او ان اقاربه لاقوا حتفهم فيها ، وجاء الى فلسطين ليمشي علاقة مع فتاة اميركية او اوروبية (او فتى اذا كان بطل الرواية فتاة) ليتفاعل سوية في سبيل انشاء (او حماية) اسرائيل .

● الثاني نموذج مشوه لاصحاب الارض الاصليين (العرب) واظهارهم في حالة « عدم جدارة » وتعريتهم من كل سبب مبدئي في القتال وهذه الصورة البشعة لا بدائيها او طفلها او رئيسها عربي ، في الرواية ، هو اسود بالمطلق .

لقد جاء « اريك بيس » الى منطقة الشرق الاوسط ليمثل واحدة من اكبر صحف العالم، (نيوبورد تايمز) وكان ذلك في الفترة التي امتدت اثناء وبعد حزيران ، واستخدم التسهيلات التي منحت له ، وصنعته هذه ، لاستعارة « جو » المنطقة والعوامل المحتدمة فيه ، ولكنه بلا ريب فعل ذلك كله لتادية مهمة معينة : ان كمية الكراهية والتحريض على الحقد والتشويه والابتذال والتحامل في روايته لا يمكن ان تنطلي كلها بالمصادفة ، ولا شك انه بالاضافة لالتزامه الفني والتاريخي الذي تمارسه الرواية ، فهي منطلقة بالاساس من انتمائه الخلافي .

ان هذه الرواية تثير تساؤلات مهمة عن الحقوق التي ينبغي لصحافي ، او « كاتب » ، ان يتمتع بها في بلد من البلدان اذا كانت كمية الكراهية التي يحملها ضد هذا البلد هي في هذا المستوى الذي يستعصي على العلاج ، اننا نقول « كمية الكراهية » كي لا نقول ان مثل هذه الرواية لا يمكن ان تكون الا حصيلة لما هو اكثر خطرا من مجرد المزاج الحاقد . وكما ان الدبلوماسية المعاصرة تعرف ما يسمى بالاشخاص « غير المرغوب فيهم » ، الذين يجري طردهم واعادتهم، فكذلك يحدث فيما يتعلق بالمراسلين الصحافيين، خصوصا عندما يصبح انحيازهم الاعمى عائقا ليس عقلانيا فحسب ، بل مهنيا ايضا . لقد حاز اريك بيس على « جائزة الصحفيين عبر البحار » لعام ١٩٦٨ ، عن « احسن الريبورتاجات التي تحتاج الى شجاعة خاصة » ، وذلك عندما غطى اخبار حرب حزيران ١٩٦٧ ، ان رواية « الافلاكح » المبنية على كذب فولتري لا مثيل له لا تستطيع ان تحوز الا على جائزة التحريض العنصري المنحط .

(غ ...)

من استخدامه لجلب الضمير الاوروبي كلما دعت الضرورة ، تعني ذلك الرعب الذي سنتعرضه التذكير بالغاز وغرف الغاز .

ان كل عربي ورد ذكره في الرواية هو على الفور ضعيف الشخصية ، كذاب ، محتال ، واهم ، صريع احلام اليقظة ، مرتش ، صلوب الارادة ، خاضع لسيطرة الجنس ، جبان ، قاتل ، قدري ، ضحل ، وخاسر بالضرورة . ان كل مدينة عربية ورد ذكرها في الرواية هي مدينة كئيبة ، قذرة ، تثير الحزن مزدحمة بالاسلاب واللصوص ، هكذا هي القاهرة (ص ١١٥ – ١٧٠ – ٢٠٣) والاسكندرية (ص ١٥٦) وعمان .. اما بيروت « فيمكن ان تكون مكانا جميلا لو فقط امحي العرب منها » (ص ٢٥) . وفي عدد قليل من الصفحات (بدءا من ص ١١٥) يوجد اكثر من عشرين صفة للفاعة من هي ١١٥ ، بلا استثناء سلبية ، وهي الصفحة ١١ تحدث المؤلف عن « الرعاع الذين هاجموا حي اليهود في بيروت » وهم يصيحون « الموت لليهود » وهذه الصورة البشعة لا بدائيها او طفلها او رئيسها الفدائيين وهم يجربون غاز الاعصاب الاسورة (الذي اشتراه لهم من الالماني شيغوبري لري) ! برجلين اجنبيين قرب العقبة ! (ص ٢٦) .

انه من المدهش حقا الا تحتوي الرواية ، في صفحاتها الـ ٢٤٩ ، صفة ايجابية واحدة ، واحدة فقط ، لاي شيء عربي ، سواء اكان هذا الشيء رجلا او امراة او مدينة او طفلا او رئيسا او ملكا او طريقا او بيتا ، ان كل ما هو عربي ، في الرواية ، هو اسود بالمطلق !

لقد جاء « اريك بيس » الى منطقة الشرق الاوسط ليمثل واحدة من اكبر صحف العالم، (نيوبورد تايمز) وكان ذلك في الفترة التي امتدت اثناء وبعد حزيران ، واستخدم التسهيلات التي منحت له ، وصنعته هذه ، لاستعارة « جو » المنطقة والعوامل المحتدمة فيه ، ولكنه بلا ريب فعل ذلك كله لتادية مهمة معينة : ان كمية الكراهية والتحريض على الحقد والتشويه والابتذال والتحامل في روايته لا يمكن ان تنطلي كلها بالمصادفة ، ولا شك انه بالاضافة لالتزامه الفني والتاريخي الذي تمارسه الرواية ، فهي منطلقة بالاساس من انتمائه الخلافي .

الاوديسي !

كيف يستطيع « اريك بيس » ان يفعل ذلك؟ كيف يمكن له ان يربط بين المقاومة والتازية ؟ لقد كان سهلا على الذين سبقوه ان يذكروا بالنازية لانهم تناولوا في رواياتهم حقبة من الزمن يمكن لابطالها ومعظمهم مهاجرون ان يمتوا بصلة ما ، مباشرة او غير مباشرة ، للتجربة الهتلرية ، ولكن احداث قصة « اريك بيس » تتناول عام ١٩٦٨ – ١٩٦٩ ، كما يبدو ، وعن المقاومة الفلسطينية ، فكيف يستطيع ان يذكر قارئه بالنازية ؟ انه يفعل ذلك بهلوانية نادرة:

فاحداث القصة تدور حول صفقة يعقدها احد قادة تنظيم فدائي ، يسميه « كتيبة النسور » ، مع رجل الماني (يظهر فيما بعد ان والد هذا الرجل الالماني كان يعمل عند هتلر في المختبرات الكيماوية) وذلك لشراء كمية من غاز الاعصاب القاتل تكفي للفتك بسكان تل ابيب ! وهكذا تتضافر جهود بطل القصة الاميركي (وهو صحافي) مع عدد من رجال ونساء الاستخبارات الاميركية ، والاسرائيلية بالطبع ، للحيلولة دون وقوع مثل هذه العملية ، وتنتهي – بالطبع – باحباط المحاولة ! هذه البهلوانية مكنت «اريك بيس » من التذكير بالنازية ، وربطها بالمقاومة الفلسطينية . بل الاثر من ذلك : تسليط ذلك السوط الذي لا يمل الروائيون الصهاينة

> **« لماذا المقاومة .. ؟ »**
>
> مؤخرا ، انتجت رابطة الخامس من حزيران اللبنانية ، فيلما عن المقاومة الفلسطينية ، وهو متوسط الطول : ٥٥ دقيقة . اخرجه كريستيان غازي ، وعنوانه : لماذا المقاومة ؟
>
> تقول المعلومات عن الفيلم الذي سيعرض في فصل الصيف الحالي ، انه يتناول قضية الشعب الفلسطيني منذ ثورة ١٩١٩ ، حتى الايام الحاضرة . ويرمي الى توضيح فكرة الكفاح المسلح ، الطريق الذي اختاره هذا الشعب لتحرير وطنه ، والاطاحة بالدولة العنصرية التي انشاتها الصهيونية العالمية بمساعدة الامبريالية . والحل الذي طرحته المقاومة بانشاء دولة ديمقراطية ، تنفي كل اشكال التمييز : الديني والقومي والطبقي .
>
> يضم الفيلم الى جانب عدد من المقابلات السينمائية الطويلة ، مع بعض المعنيين والمشتغلين بالقضية الفلسطينية ، مقاطع من افلام تسجيلية، او نصوص مصورة تشير الى فترات معينة ، من تاريخ الكفاح الفلسطيني . اضافة الى مشاهد تعرض الفدائيين والاشبال وتدريباتهم ، والمظاهرات التي سبقت حملة ايلول الدامية .
>
> هذا ، والفيلم انتج خصيصا ليعرض في عدد من الجامعات الاجنبية ، والغرض طرح استراتيجية المقاومة وشرحها ، بما يدحض المزاعم الصهيونية والرجعية ، ويوضح فكرة الدولة الديمقراطية.

الجراد

مقاطع

فمرت طلقة سريعة بالقرب من الذيه . جفل وهو تلقائيا . وسرعان ما عاود السيطرة على نفسه واخذ يصوب البندقية باتجاه مركز الاطلاق .

دقائق قليلة حسبها العمر كله وهو يرهف بملاصقة الحيطان ، كان الجراد يرتطم بالجدران ويتساقط قافرا فاه ، يبتلع كل شيء . انه جراد خاص بهذه المنطقة . تساقط عدد من الجراد على راسه ، والتصق به لاخطبوط ، فاخذ يصر على اسنانه بقوة محاولا الا يحدث جلبة او ضجيجا ، حتى لا يتكشف ويصبح هدفا « لنشين » ! سالت الدموع بعد ان استنفد كل صبره ، وكلت يده من طرد الاسراب في المنقطعة على راسه . بدا يرهف زحفة «الانفيه» والرصاص من الفاه ساهرا دون نوم . وبينما هو يوالي الزحف ، كانت الاصوات تصله من بعيد ، خافتة ثم تعلو ، فتنفجر :

– بلغوا اخواتكم .. انها الطريقة الوحيدة الجديدة ، احرقوا قرانكم على اسطح المنازل ، احرقوا كل شيء . لا باس ، وستنام على الارض انها الطريقة الوحيدة التي يهرب فيها الجراد .

تحسس « سترته » ، تزهما ، ومد يده الى عود الثقاب واشعل طرفها بعد ان اقرا « القداحة » من « الكاز » ، ودس القطن في جيبة السترة ، ثم اتكا على كومه الحمى واخذ يتمدد تدريجيا من النار !

تطلع حوله ، اسطح المنازل تحولت الى مواقد للنار ، واينما تطلعت يصادفك اللهب ، الذي انكمرت اضواؤه على الحيطان الصماء والاقواء المتصلة على النوافذ . وكانت « الزغاريد » و « الله اكبر » ، و « المجد للرجال » ، تتسلل من وراء النيران المرتفعة ، الى الاذان الساهرة ، جميلة ، طرية ، منعشة ونوفقة الحماس !

٢

من نافذة صغيرة متهدمة ، في منزل « اللبن » الذي يعيش فيه ، كان يرسل نظراته الى شارع الاسفلت المجاور . ضايقته اطراف السنارة الملقاة دون نظام ، فنزعها ، والقى بها غاضبا في الركن وهو يتمتم « هذه ليست حياة ، هذه زرية تحشر انفسنا بها قسرا ، اللعنة على هذا (العالم) ! مقد حاجبيه ، وحدق في الشارع ، ثم دق قبضة يده على الحائط « كان صوتها اقوى زمن » ! رجل طويل القامة ، يرتدي بزة عسكرية انيقة ، يمشي على راسه ، داخل حذاء كبير ، وخلفه مظاهرة صاخبة تهتف « يسقط الجراد » و « الموت للجراد » و « العار للجراد » !

يعض على الحائط ثم سرعان ما احضر السنارة ومسحها بها . وبحث تحت (المطوى) عن علبة سجائره اللف ، وراح يقطع الوقت في تصنيع سيجارة اسطوانية . انتبهت زوجته الى قلقه وحزنه وغضبه ، فقالت وهي ما تزال محدقة على « الفرشة » الارضية :

– ابو ياسر ! مالك !!

– لا .. لا شيء .

– ماذا يحدث في الخارج ؟

ابتسم وقال وهو ما زال ينظر من النافذة :

– رجل يمشي على راسه داخل حذاء وخلفه مظاهرة تاييد .

تطلعت نحوه باستنكار ، واحست بلسعة في جانبها الايسر وتمتمت « انه يضحك علي ، ويسخر مني ، انا اعرف انني لست مثقفة ، لكنه زوجتي وكفى » . ورغم انفها ، هاجمها كابوس من التصورات المزعجة عن « احتقاره » لها ، لم جمعت ما تبقى من شجاعة وقالت :

– انت لا تحترمني

تطلع نحوها باستغراب :

– ما داعي هذا الكلام ؟

– انا اعرف انني غير مثقفة ، وانت دائما تتحدث عن الزوجات المثقفات والحياة السعيدة .

– آخ منكم يا رجال ! لم تظاهر بالغباء !! بما ! بما !!

– اوه ، الله اكبر ، وبعدين ؟ تعالي ، تعالي شوفي

– لا !

بقيت محدقة على الارض ، تفكر ، امس ليلا ، لانها حرقت « الفرشة » الثانية التي يمتلكونها كاحتياط « والبوم » .. سحت شعرها من الخلف الى صدرها واردفت « اولاد الحرام ، اخذوا كل شيء » ورأها ان تتشبث اعينها على الفستان « حتى الفساتين ، فرفها ذلك الجندي العور » تقلبت على جانبها الايمن ، توقع بصرها على الزوج الذي ما زال صموا على النافذة ، والربطة البيضاء تحيط بساعد يده الايمن :

– ابو ياسر ، تعال استريح !

– استني

– بحياة ابوك تعال !

– يا شيخة .. استني

– اوه خلي القيامة تقوم !

– ما احنا فيها !

اخذ يضحك بصوت مرتفع ، ويقول :

– الصف الاول من المظاهرة يقف القائد ، اتهم يمشون على رؤوسهم داخل احذية ، ان منظرهم يثير القرف والعطف والخوف ، ارجعلهم الى اعلى انها مزروعة كميدان القصب ، تعالي ، تعالي شوفي .

– بحياة ابوك تسكت !

– الله ! كل المظاهرة تمشي على رؤوسها ، الناس يقفون داخل احذية وارجلهم الى اعلى كل رجل براسين يقدمين عاريتين، ارجوك تعالي !

– لا

بدأت تتشائل بتفكرات نسائية خاصة ، في المتعة التي تاخذها زوجة متفرغة في البيت كل العمر ، لكنه استمر على النافذة يدخن بارتياح وخوف ، فاحست الزوجة بالملل ، ونهضت بتثاقل ، بينما كان يحاول ترك (النافذة) وقالت :

– لا حول ولا .. ساري المظاهرة

تطلع نحوها باشفاق وابتسم :

– لقد اخذت .. ارجعي .

٣

حول طاولة مستديرة ، كان اجتماع المكتب السياسي للعمت ، في الحي الغربي ، خارج القصر ، امتلات الساحات بالجنود والدبابات والمباحث . وفوق الطاولة ، عشرات الزجاجات الملونة ، والماكولات ، ونسخة واحدة مطبوعة لكل جالس فوق كرسي . في مقدمة الطاولة ، جلس رئيس المكتب الذي يشبه الفقمة بهيئة وجهه ، وبدا يقرأ من النسخة المطبوعة « بعد الانتصار الساحق على الجراد ، سنتوجه لاحتلال مستنقعات المخفض المليئة بالاسماك .. ولكن امامنا مهمة عاجلة ، لا بد من القاء القبض على ابي ياسر ! »

فاطمه احدهم : منى انتصرنا على الجراد !!

نهض شخص من فوق كرسيه ، وقاده من اذنه ثم سلمه للحرس وتمتم :

– هذا الحيوان يعارض ، لا داعي للاسئلة ، متى وكيف واين !! المهم اننا انتصرنا ، هذه هي خطوة ، والخطوة الثانية ان ننتصر مجددا .

تململ رجل عجوز وهتف :

– على من ؟!

فسافه الرجل كما ساق زميله وسلمه الى الحرس وعاد يزمجر :

– يا اولاد الكلب ، لا داعي للاسئلة ، انتم جواسيس ، خونة ، لماذا تسألون ، الا تثقون بالسلطان ؟!

قبل ان يكمل جملته ، تنحنح شاب صغير وطلب الاذن بالخروج ! وما تبقى كانوا يرفعون ايديهم شارة الموافقة طول الوقت .

السلطان ما زال على راس « المنعمة » ! فرا الفترة الثانية من النسخة المخطوة ، واستاذن المجلس ليذهب الى « الرحاض » ! وخلال غيبته وبينما كان الرجل العنتري ما يزال واقفا ، ومتحفزا لمسك اي اذن وتسليم صاحبها الى الحرس ، كان الجيش تلقى امرا بالتحرك لالقاء القبض على ابي ياسر !!

٤

اثار تاكل الحيطان ، الزرع ، الرؤوس ، ما زالت تترك بصماتها على الشوارع ، الاجساد ، والمنازل . رجل يسير ونصف راسه مفتوح للهواء لقد اكله الجراد . دوريات عسكرية تجوب الشوارع . ولاثة ارباع الفتيان احاطت بهم الاربطة ، وطوقت سيقانهم . وعلى الرصيف مئات من رجال المباحث . قال فلاح فقير لزميله :

– يقولون ان الجراد سيعود

– وهل نظلنا على اثاره حتى يعود ؟ انه موجود

– آه .. ماذا نفعل ؟

– لا تتحدث انه ينظر نحونا ، ذلك المباحثي الصغير !

ترك الرجل المباحثي الرصيف وتوجه نحوهما، بينما كان ابو ياسر يسير وسط مجموعة مسلحة من الرجال في منتصف الشارع العام . علق رجل يبيع الخضار على عربة صغيرة متنقلة :

– سيمتلهم هذا الزنديق !

اتفق نحوه شاب كان يختار رطلا من « البرامبه » :

– من سيمتلهم ، هذا الازعر !!

المدينة الراكدة على السطح ، تتحرك بشكل كثيف في الاسفل – كل الحركات الخارجية تحمل بركاتها في الداخل . حتى مؤذن المسجد خرج عن صمته ، وهو في دكان الاوعية القديمة :

– الله يستر ! يقولون ان الجراد سيعود !

ونحن ناكل انفسنا !

– وبعدين ؟

– ستتركها لله !

صفارات الانذار ، لا تصل الى كل منزل ، والعبطة لا يعرفها كل الناس ولا يقدرون عليها . البعض زرعوا انفسهم في الشوارع وعلى اسطح المنازل ، والبعض الاخر نام في اللاجيء عند الظهر ، وعربات تمشي . والجراد يهاجم المنطقة بالالاين .

– لقد بدأ القتال اهربوا !!..

فالها شاب اعزل كان يسابق قدميه ، فيبدا الفجيج بالزلة ، وتحت الارض وفوق (سمطات) الغرف الصغيرة . خرج الى الميادين والشوارع الرئيسية مئات والاف الرجال . بعضهم استشهد والبعض مات، وصوت يفتح المدينة ، يتضخم ، يكبر :

– انتبهوا ايها الناس .. ان للجراد انصار في الداخل ، لقد توحدت صفوفهم ، دافعوا عن المدينة واتحدوا !

وما كاد الصوت يتعمق على الجدران ، ويدخل المنازل ، ويرسخ داخل الكثير من الجماجم المتعبة ، حتى حارت المدينة لنفسها خنادق فتح احدهما للجراد مزارعه وابواب المنازل . وما زال ابو ياسر يردد نفس النداء . في حين اخر !

علي حسين خلف – عدن